

سهاد ظاهر - ناشف ونادرة شلهوب - كيفوركينان*

الرغبات الجنسية في آلة الاستعمار

الإسرائيلية الاستيطانية

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على كيفية انتهاك الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي لأجساد النساء الفلسطينيات، فعلاً ومجازاً. ونقطة الانطلاق الأساسية هي أن ممارسات الاستعمار والاستيطان وانتهاكاتهما للأرض والجسد الفلسطينيين، تشكل جزءاً من البنية الثابتة واليومية للاستعمار. وهذه الممارسات شبه مخفية في الحياة اليومية، لكنها تنكشف حين تتكشف في حالة صدام أو حرب أو أي توتر سياسي، كما هي الحال في الحرب الأخيرة على غزة. وستبين هذه الدراسة كيف يصبح الجسد الفلسطيني، وجسد الفلسطينية تحديداً، حلبة لممارسات الاستعمار الاستيطاني لما فيهما من تهديد لاستمرارية هذا الاستيطان وكيونته.

واغتصابها منذ نكبة ١٩٤٨.

مقدمة نظرية

يعمل الاستعمار الاستيطاني - وهو "بنية وليس حدثاً" - وفق "مبدأ الإبادة" (Wolfe 2006)، فيقوم بإبادة السكان الأصليين في منطقة معينة، ساعياً لـ "الهدم بهدف الاستبدال"، ويكون هذا الغزو مترافقاً مع مشروع القضاء على وجود السكان

إن فهم العنف الجنسي واستغلال أجساد النساء كأدوات لمحاربة المستعمرين ضروري جداً لفهم البنية الأوسع للقوة الاستعمارية، وللآليات التي تستخدمها لفرض الهيمنة العرقية، وللمنطق الذي تعتمده لإبادة الآخر. ويظهر ذلك جلياً في سياقات الاستعمار الاستيطاني الذي تُنتهك فيه جنسانية النساء المحليات وسلامتهن الجسدية، لأنهن مصدر ولادة الأجيال المقبلة. وسنركز في هذه الدراسة على "شهوانية" الاستعمار في الحرب الأخيرة على غزة، مع الرجوع إلى تاريخ الرغبة الصهيونية في قتل المرأة الفلسطينية

* سهاد ظاهر - ناشف: باحثة في العلوم الاجتماعية، ومنسقة برنامج الدراسات النسوية في مدى الكرمل؛ نادرة شلهوب - كيفوركينان: مديرة برنامج الدراسات النسوية في مدى الكرمل.

لقد استند مشروع "التحديث" أو "بعثة التحضير" إلى تصوّر صهيوني لأيدٍ يهودية فقط، تفلح أرضاً خالية وغير مزروعة، و"تجعل الصحراء مزهرة". وسعت القيادة الصهيونية - في أولى مراحل إقامة الدولة - لتحقيق تصوّر "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"^٢، من خلال التخطيط والتنفيذ الممنهج للتطهير العرقي لنحو ٧٥٠,٠٠٠ فلسطيني أصلا من فلسطين التاريخية خلال نكبة ١٩٤٨. ويستمر هذا السيناريو من الترحيل حتى يومنا هذا من خلال عدة ممارسات، غير مرئية أحيانا وغير مباشرة، وكثيرا ما تكون مكثفة ومرئية للعالم أجمع مثل المذابح التي ارتكبت خلال الانتفاضتين، وفي مختلف الحروب على غزة. ففي الحرب الأخيرة على غزة، في تموز / يوليو وآب / أغسطس ٢٠١٤، قُتل ٢١٤٧ فلسطينياً (٨١٪ مدنيين) بيد ماكينات الاستعمار، أو بشتى الوسائل في مختلف أرجاء فلسطين التاريخية.

أجساد النساء الفلسطينيات وجنسانيتهن تُستهدف بشكل ممنهج كجزء من "منطق الإجماع" والإبادة العرقية اللذين يعتمدهما المشروع الاستيطاني الاستعماري الإسرائيلي. وكثيرا ما كان الاغتصاب والممارسات المتنوعة للعنف الجنسي ضد النساء الفلسطينيات، جزءاً من محاولات الدولة الاستعمارية الاستيطانية لإبادة الفلسطينيين وإجلائهم عن أراضيهم (Shalhoub-Kevorkian 2009). وفضلاً عن الاغتصاب الجسدي وممارسات العنف الجنسي المتعددة، فإن مشروع احتلال الأرض الفلسطينية ومحو تاريخها وزراعتها أو إعادة تشكيلها من جديد، يستمد طاقته من المنطق العرقي للعنف الجنسي بحد ذاته. وبالتالي، فإن مناقشتنا للعنف الجنسي والإبادة الجماعية الفلسطينية لا تعنى

الأصليين في هذه الأرض، لاستبدالهم بالمجتمع والنظام الاستيطاني الجديد (Ibid.). ولهذا يدعى الباحثون / ات أن منطق الإبادة الذي يعتمد الاستعمار الاستيطاني ربما يُتوج بإبادة جماعية للسكان الأصليين، وفي صيغته الأوروبية، قام الاستعمار الاستيطاني والإبادة الجماعية بـ "توظيف قواعد تنظيمية عرقية" (Ibid., p. 387).

تاريخاً وحاضراً، رسخت الدولة اليهودية - منذ إقامتها - المنطق الاستعماري العرقي الذي يعتبر أن الفلسطيني هو ذاك "الأخر" الذي يشكل خطراً، مقارنة بالفرد والنظام الأبيض / اليهودي. هذا هو التعامل الذي انتهجه الغربي الأبيض كما يقول إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق (Said 1978)، بحيث يصبح الشرقي هو الآخر الذي يتم "تشيئته"^١ بهدف السيطرة عليه وتشكيل حياته وجسده / ا بما يتلاءم مع المصالح الاستعمارية الغربية البيضاء. هذا الترتيب العرقي صدر عن الأيديولوجيا الاستشراقية لأوائل المفكرين الصهيونيين الذين رأوا في الشعب اليهودي شعباً يجلب الحضارة الأوروبية إلى منطقة وشعب يتميزان بالتخلف. يقول غولدرغ:

تمثل إسرائيل الحداثة والتقدم والصناعة والمثابرة، وتسعى لتحقيق مستقبل مشرق. إنها بعثة حضارية... بينما تمثل فلسطين الماضي والمحاولات الفاشلة، إن وجدت أصلاً، والأرض القديمة التي لا تزال تُحرث باليد، والفشل الدائم في حكمها. إنها مكان محصور في قبضة الماضي (Goldberg 2009, p. 109).

من طرف القيادة الصهيونية التي نادت بقتل المرأة الفلسطينية واغتصابها. وسنقوم بدايةً بتوثيق هذه المواد مع تفسيرها، ثم تحليلها استناداً إلى منظور نظري نسوي - استعماري.

العنف الجنسي والإبادة الجماعية من منظور تاريخي عالمي

من المهم إعادة النظر في الانتشار الموثق للجنس والعنف الجنسي في مناطق النزاع والحروب، من أجل فهم منطق العنف الجنسي الذي يشكل حجر أساس في الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي والإبادة الجماعية الفلسطينية، ذلك بأن العنف الجنسي، تاريخياً وعالمياً، كثيراً ما كان جزءاً من الكيان الاستعماري ومن ممارساته، فمثلاً في الإبادة الجماعية في البوسنة والهرسك، وفي المغرب والجزائر في فترات الاستعمار الفرنسي، وكذلك الحال في الاحتلال البريطاني للهند، تعرضت أجساد النساء للاغتصاب والعنف على نطاق واسع، واعتُبرت أجساد النساء رمزاً قومياً (Aretxaga 1997). ومثلما ترى لورين دولر، في سياق غرب بلفاست، إيرلندا الشمالية، فإن الحروب والنزاعات توفر أرضاً خصبة لما تسميه "الذكورة المفرطة" (Dowler 2002).

إن التحليل الذي نطرحه هنا يتجاوز الإطار التحليلي النسوي الشمولي الذي يختزل الاغتصاب والعنف الجنسي إلى سلاح أو منتج ثانوي لمختلف أشكال القوة. وتركيز التحليل على القمع الذكوري - بغض النظر عن انعدام المساواة العرقية والاجتماعية والجنسدية وغير ذلك - يهمل العلاقات البنوية القائمة بين أنظمة القمع المتشابهة هذه. واستناداً إلى باحثات نسويات

بالممارسات والسياسات ذات البعد الجنسي للدولة الصهيونية فحسب، بل بطبيعة العنف الاستيطاني الاستعماري بحد ذاته أيضاً، لأن تصوّر الحركة الصهيونية لاحتلال واستيطان (وطبعاً إجلاء) الجسد الفلسطيني هو جزء لا يتجزأ من مشروع الاحتلال والاستيطان في الأرض الفلسطينية. ونستند هنا إلى إقرار أندريا سميث بأن منطق العنف الجنسي الاستعماري "يرسخ الأيديولوجيا القائلة إن أجساد الأصلايين بطبيعتها قابلة للانتهاك. وامتداداً لذلك، فإن أراضي الأصلايين، أيضاً، قابلة للانتهاك" (Smith 2005, p. 12). هذا المنطق من موضوعة الذات الصهيونية في خانة القادر على الانتهاك، وموضوعة الآخر الفلسطيني كشيء في خانة القابل للانتهاك، هو جزء من المنطق الاستعماري.

تحاول هذا الدراسة تتبّع سير منطق العنف الجنسي، في سياقه التاريخي والحالي، كآلية خفية ومرئية للنظام الأبوي الاستعماري ضد المجتمع الفلسطيني. ونحن نرى أن منطق العنف الجنسي الظاهر في نظام الحكم الإسرائيلي - بما في ذلك الاعتداءات الاستعمارية الاستيطانية الإسرائيلية الأخيرة - هو جزء لا يتجزأ من مشروع استعمار الأرض الفلسطينية.

منهجية الدراسة

في هذه الدراسة تم توثيق مظاهر العنف الجنسي والجسدي مثلما عبّر عنها خلال الحرب الأخيرة على غزة. واحتوت مادة التحليل على كتابات وتصريحات ورسومات ومواد مرئية مارست العنف الجنسي والجسدي على الجسد الفلسطيني، وخصوصاً جسد المرأة الفلسطينية، قبل وفي أثناء الحرب على غزة، وأيضاً تصريحات تاريخية

على أساس عرقي هو مجاز للقانون الاستعماري المرتبط بالبنية العرقية للذكورة. تقول موهانتي:

اللقاءات الجنسية بين الرجال البيض والنساء الأصلانيات (ذوات البشرة السوداء) غالباً ما اتخذت شكل الاغتصاب. وهذه الذكورة العنيفة الممارسة على أساس عرقي كانت - في الواقع - الجانب السفلي للصيغة المقررة للقانون الاستعماري... لقد نشأ العنف الجنسي العرقي كنموذج مهم، أو كمجاز لـ "القانون الاستعماري"، مرتبطاً بـ "البنية العرقية للذكورة" (Mohanty 2003, p. 60).

باختصار، نحن نتمحور حول حقيقة أن العنف الجنسي والترهيب الممارسين ضد العرق "الأخر" - ونعني، هنا، أجساد النساء الأصلانيات، وذوات البشرة السوداء والسمراء - يشكلان حجارة الأساس في بُنى أصول الحكم الحديثة التي ترتكب مثل هذه الجرائم. علاوة على ذلك، ومن خلال عدم إيجاد القاسم المشترك بين التجارب والمكانة البنيوية للنساء الأصلانيات وذوات البشرة السوداء، والوقوع فيما يسميه واضع النظريات العرقية جارد سكستون "أشخاص عمى الألوان" (Sexton 2010)، فإننا نؤكد ارتباط منطق العنف الجنسي بمشاريع الإبادة الجماعية ضد المجموعات العرقية "الأخرى".

استهداف أجساد النساء

الفلسطينيات - تاريخاً وحاضراً

إن فهم الاعتداءات المكثفة على أجساد النساء الفلسطينيات خلال الهجمات المتزايدة التي يشهدها النظام الاستعماري

أصلانيات ذوات بشرة سوداء، يمكننا أن نلاحظ وجود رابط متين بين الهيمنة العرقية والاستعباد الجنسي (Hartman 1997; Shalhoub-Kevorkian 2009; Smith 2005; Spillers 1987)، لأن العنف الجنسي ضد النساء ذوات البشرة السوداء كان عاملاً مركزياً في استعباد ذوي البشرة السوداء خلال فترة العبودية (Hartman 1997). ومثلما تُدكرنا جوي جايمس، فإن العنف الجنسي والعرقي لا يزال جزءاً من "الديمقراطية" الأميركية اليوم (James 2013, p. 124)، كما أن السيطرة على أجساد النساء ذوات البشرة السوداء وقدراتهن الإنجابية لا تزال تميز محاولات الإبادة الجماعية في الأمريكيتين (Roberts 1997). وقد ارتكبت العنف الجنسي، في السياقات الاستعمارية، ضد أجساد النساء الأصلانيات من خلال الاغتصاب، والتحكم في قدراتهن الإنجابية، والتعذيب، والقتل، كوسائل للقضاء على المجتمعات الأصلانية وعلى استمرارية وجودها على أرضها. فعلى سبيل المثال، خلال الحرب الأهلية في غواتيمالا، والتي استمرت ٣٦ عاماً، استخدمت قوات أمن الدولة الاغتصاب والتعذيب ضد أجساد النساء الأصلانيات بشكل ممنهج، كتمارين مركزية فيما تسميه منظمة الأمم المتحدة بالإبادة الجماعية للشعوب الأصلانية.

إن ارتباط العنف الجنسي بالمشاريع الاستعمارية الفوقية البيضاء التي تهدف إلى السيطرة والتحكم والقضاء على أجساد النساء الأصلانيات، يُعتبر عاملاً تكوينياً في بنية الأنظمة القائمة على أساس عرقي. فالعنف الجنسي ليس مجرد منتج ثانوي للاستعمار، بل إن "الاستعمار - بحد ذاته - مبني وفق منطق العنف الجنسي" (Smith 2003, p. 70)، والعنف الجنسي الممارس

تتناول شلهوب - كيفوركيان (Shalhoub-Kevorkian 2009) قضية أجساد النساء، وخصوصاً الفلسطينيات، كأسلحة في المناطق الاستعمارية ومناطق النزاع، معتبرة إياها "تسليحاً لأجساد النساء وجنسانيتهن". وتؤكد أن "تحويل أجساد النساء إلى أسلحة" ليس حدثاً هامشياً، وإنما قضية جوهرية "تتحقق تحت ظروف استعمارية" (Ibid., p. 115). ومن هنا، فإن تحليلها يشير إلى أن العنف ضد أجساد النساء الفلسطينيات وجنسانيتهن تعزز بيد الدولة الصهيونية من أجل تقوية البنى الذكورية الأصلية، وللمساهمة في طرد الفلسطينيين من أرضهم، وقد تفاقمت الاعتداءات الجنسية العسكرية في ظل الاحتلال الإسرائيلي (Ibid., p. 13)، كما أن الدولة الإسرائيلية والقوات العسكرية استغلت التهديد بالعنف الجنسي ضد النساء الفلسطينيات، والمفاهيم الذكورية للجنسانية و"الشرف"، من أجل "تجنيد الفلسطينيين كمتعاونين" خلال الثورات، ولردع محاولات المقاومة المنظمة (Ibid., p. 14). وبهذا، فإن العنف الجنسي ضد أجساد النساء الفلسطينيات مترسخ في آلية القمع الاستعمارية الاستيطانية الإسرائيلية. إن "الاغتصاب" الفعلي والمجازي لأجساد النساء الفلسطينيات التي يرى الكيان الصهيوني أنها قابلة للانتهاك، يستند، بطبيعة الحال، إلى منطق العنف الجنسي الذي يدعم انتهاكات يمارسها المشروع الاستعماري الاستيطاني، والمصادرة المستمرة لأراضي الفلسطينيين، ويُعيدنا إلى منطق تحويل الآخر / الأخرى إلى شيء، كوسيلة استشراقية استعمارية وذكورية تُسهل على المستعمر / ة السيطرة على المستعمر / ة. وستركز هذه الدراسة على تجليات ثنائية استعمار الجسد والأرض

الاستيطاني يتطلب تحليلاً شمولياً ونسبياً يتخذ النكبة كنقطة انطلاق تحليلية (Shalhoub-Kevorkian 2009)، ذلك بأن منطق إقامة دولة إسرائيل على الأرض الفلسطينية، هو منطق الاحتلال والاستعمار والاغتصاب، وأدواته هي القتل والتهجير والاغتصاب. وهناك توثيقات عديدة بشأن محاولات طمس جرائم القتل والاغتصاب ضد النساء الفلسطينيات، وفيما يتعلق بكون هذه المحاولات عاملاً مركزياً في المجازر وحملات التهجير المنهجية التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية خلال هدم القرى الفلسطينية في سنة ١٩٤٨ (Slyomovics 1987; Morris 2007).

فعلى سبيل المثال، عبّر دافيد بن - غوريون في مذكراته بشأن سنة ١٩٤٨ عن الفكرة نفسها، لكن بكلمات أخرى (Bar-Zohar 1968, p. 157)، إذ أيد قتل النساء والأطفال الفلسطينيين، معتبراً إياهم تهديداً للكيان السياسي الاستيطاني اليهودي، وفي الوقت نفسه منح مكافأة لكل أم يهودية تلد طفلها العاشر (Kanaaneh 2000). ووضع بن - غوريون إدارة هذه الحوافز الداعمة للإنجاب بيد الوكالة اليهودية، وليس الدولة، لضمان استثناء العرب منها (Davis and Lehn 1978)؛

إن التحكم في الخصوبة جعل الفلسطينيين / ات، وخصوصاً النساء، عرضة للخطاب القومي الذي يسيّس تكاثرهم / ن بشكل معمق (Ibid.). وكما رأينا في العدوان الأخير على غزة، فإن النساء الفلسطينيات كثيراً ما كنّ عرضة لآلة القتل الصهيونية، وقد قُتل كثير من الأطفال صغار السن، وكثير من النساء وعائلات بكاملها. وهذا كله لخدمة الآلة الاستعمارية التي تُبني شعباً وأجيالاً بأكملها.

كانت هذه كلمات ساما،^٥ امرأة فلسطينية في السادسة والثلاثين من عمرها، كانت مجموعة مستوطنين يهود قد احتلت منزلها في القدس الشرقية المحتلة، وانتهكت حياتها الأسرية، وفوق ذلك كله، اصطحبت إلى مركز الشرطة الإسرائيلية لتقبع تحت تهديد الاعتداء الجنسي الذي نفذه ضابط الأمن الإسرائيلي ببطء وبشكل ممنهج. قصة ساما ليست استثنائية، ففي السياق الفلسطيني هي قصة يومية ومتكررة، أحياناً مرئية وكثيراً ما تكون مخفية.

يتضح العنف الجسدي والجنسي على أجساد النساء الفلسطينيات أكثر خلال العمليات العسكرية التي شنتها إسرائيل في سنة ٢٠١٤ على قطاع غزة، والتي لاقت تأييداً من المجتمع الإسرائيلي - الصهيوني الذي تماهى مع الدولة بمؤسساتها الرسمية العسكرية وغير العسكرية وبجامعاتها الأكاديمية، فتشكلت وحدة استعمارية تعبر عن شهوتها الجنسية الاستعمارية بصوت مماثل وبمضامين متماثلة.

تاريخية استعمار الأرض والجسد

منذ قيام الكيان الصهيوني في دولته إسرائيل، عبّرت قيادته / ا عن رغبتها في قتل النساء الفلسطينيات واغتصابهن. فمثلاً في بحثه بشأن مجرزة دير ياسين، يقول ليفين:

لم يُعط أي إنذار عن هجوم وشيك، على الرغم من ادعاء بيغن أنه جرى مسبقاً تحذير أهالي القرية. لقد تمّ التغلب بسهولة على المقاومة الأولية لقرية دير ياسين، وطلب من جميع السكان التجمع في ساحة القرية. هناك، طلب منهم الاصطفاف أمام الجدار وأطلقت عليهم النار. أفادت

مثلما ظهرت مكثفة ومرئية في الحرب الأخيرة على غزة، وكما تظهر في الممارسات اليومية للاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي.

استهداف الأرض والجسد في آلة الحرب الاستعمارية الصهيونية

لم يكتفوا بغزو وطننا، احتلال أرضنا وطرودنا منها، بل قاموا، أيضاً، باعتقالي واصطحابي إلى المسكوبية، مركز الشرطة. وضعوني وحدي في غرفة رقم ٤ لمدة طويلة، ثم دخل إلى غرفة التحقيق رجل طويل القامة قوي البنية، ضابط شرطة. كنت وحدي وبدأت أرتجف خوفاً عندما أغلق الباب وأخذ يحرك الأشياء في الغرفة، ويتفحصني من رأسي إلى أخمص قدمي. انتابتنى حالة من الرعب وتسارعت نبضات قلبي. اخترقت عيناه جسدي في أثناء فتحه الأدراج باحثاً عن شيء ما، ثم غادر الغرفة ليعود بعد خمس دقائق حاملاً بيديه صندوقاً. أخرج زوجي فُفَّاز بلاستيكي أزرق اللون، لبسهما وهو يتفحصني ويقول لي: تعالي إلى هنا... أعترف بأنني شعرت بالرعب عندما اقتحموا المنزل وطرودنا منه، وكنت متوترة جداً عندما اعتقلوا ابني، لكن الخوف من (...) "فاهمة قصدي" ... أنت تعلم... الخوف من استغلالي... اغتصابي بيديه الكبيرتين الزرقاوين وأشياء أخرى... كان أكثر اللحظات رعباً في حياتي (مقابلة مع نساء فلسطينيات في القدس، ٢٠١٤).

هذه التصريحات ما هي إلا تعبير عن ذهنية القتل الصهيونية التي ترى في المرأة حاملة الرحم الفلسطيني، عدواً يحمل أجيالاً مقبلة تهدد الكيان الصهيوني.

الأكاديمي والباحث المستعمر

في الأول من تموز / يوليو ٢٠١٤، فور اكتشاف جثث ثلاثة مستوطنين يهود شبان كان قد اختفى أثرهم في الضفة الغربية المحتلة، صرح مردخاي كيدار، وهو باحث صهيوني في مركز بيغن - السادات للدراسات الاستراتيجية، عبر الإذاعة الرسمية، أن "الرادع الوحيد لهؤلاء الذين اختطفوا الأطفال (الإسرائيليين) وقتلهم، هو إبلاغهم بأن شقيقتهم أو والدتهم ستغتصبان إذا ما ألقى القبض عليهما... هذه هي ثقافة الشرق الأوسط." (Kedar 2014).

وفي الحقيقة، فإن هذا التصريح لأكاديمي في جامعة إسرائيلية، ليس مفاجئاً، وإنما متوقع من آلة الاستعمار، وهو دلالة على أن هذه الآلة تعمل في كل مكان وكل زمان. إن الإدلاء بهذه التصريحات عبر الإذاعة الرسمية، علناً وعلى مسامع الجمهور اليهودي الواسع، يعكس العقلية الاستيطانية في تعاملها مع الفلسطينيين، كما أن طرح موضوع اغتصاب النساء الفلسطينيات كاستراتيجية عسكرية من جانب باحث في إحدى الجامعات الشهيرة في إسرائيل ليس إلا تعبيراً عن صورة النساء المستعمرات الراسخة في أذهان القوى الاستعمارية، وعن ذهنية الاغتصاب لدى الاستعمار. بعد أقل من ٤ أشهر على العدوان ضد قطاع غزة، وفي ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٤، تم تعيين كيدار خبيراً بالشؤون

شاهدة عيان أن شقيقتها التي كانت حاملاً في الشهر التاسع، تلقت الطلقة في الرقبة الخلفية، ثم شق المعتدون بطنها بسكين جزار وأخرجوا الطفل الذي لم يولد بعد. وعندما حاولت امرأة عربية أخذ الطفل، أطلقت عليها النار. وأفاد شهود عيان بأن أعضاء هذه العصابة اليهودية من النساء نسفن الأعمال الوحشية التي ارتكبتها نظرائهن من الرجال، فقد اغتصبت النساء أمام أعين أطفالهن قبل أن يُقتلن ويلقى بهن في البئر، حتى إن ممثلي اللجنة الدولية للصليب الأحمر المعتادين على مشاهد العنف أصيبوا بالاشمئزاز مما رأوا (Levin 1950, p. 57).

في السياق نفسه، يمكن تفسير أحد التصريحات الشهيرة لأريئيل شارون، والتي تُعبر عن وحشيته، حين يقول:

لا أعرف ولا أعترف بما يُسمى مبادئ قومية. وعدتُ بأن أحرق كل طفل فلسطيني في المنطقة. المرأة الفلسطينية والطفل خطران أكثر كثيراً من الرجل، لأن بقاء طفل واحد معناه استمرار عدة أجيال.

الفكرة ذاتها وردت في يوميات دافيد بن - غوريون، إذ يقول:

إذا ما وصلنا إلى مكان فيه عائلات، فإن علينا الهجوم والقتل من دون رحمة أو أسف، وخصوصاً النساء والأطفال، وإلا لا فائدة من هجومنا. لا حاجة إلى التفرقة بين المذنب والبريء.

الأخيرة للكنيست قبل عامين، تسابق المرشحون والمرشحات على مَنْ يكون أكثر عنصرية تجاه الفلسطينيين / ات، سواء في مناطق ١٩٤٨، أو في المناطق التي احتلت منذ سنة ١٩٦٧، كي يحظوا بأكثر أصوات ممكنة من الجمهور الإسرائيلي الذي هو، كقيادته، مستعمر. وهذا الأمر يدل على أن المؤسسة الحاكمة والمجتمع المدني، كلاهما في الحالة الاستعمارية، مستعمر / ة، ولا فارق بين الاثنين.

لذة الصهيوني / ة الجنسية في أثناء قصف غزة

أحد الطقوس الاستعمارية التي مارسها شعب إسرائيل في الحرب الأخيرة على غزة، هي الانتشاء الجنسي والجسدي في أثناء قصف أرض غزة، وقصف أطفال وأمّهات وشباب ورجال غزة. فمثلاً كانت تنظّم تجمعات لليهود / يات الإسرائيليين / ات على سفوح التلال لمشاهدة القصف العسكري لغزة والتلهيل له (Sherwood 2014). وقد عبّر هؤلاء المشاهدون / ات عن اللذة الجنسية التي شعروا / ن بها خلال مشاهدتهم / ن إعدام سكان قطاع غزة الجماعي، وكتبت إحدى الفتيات الإسرائيليات التي شاركت في تلك التجمعات، على صفحتها في موقع الفاييس بوك: "لقد وصلت إلى ذروة النشوة برؤية قوات جيش الدفاع الإسرائيلية تقصف المباني في غزة وتقتل الأطفال والعائلات في آن واحد، بوم بوم" (Strickland 2014).

تجسيد مرئي لذهنية ماكينة الشهوة الاستعمارية

أحد تعبيرات شهوانية الاستعمار الجنسية تجلت في صورة "بوستر" كبيرة وُجّهت

الجندرية، وهذا التعيين ليس سوى تعبير عن الذهنية الاستشراقية لدى الاستعمار. فهذا الأبيض الذي ينادي باغتصاب النساء الفلسطينيات يُعَيّن كخبير جندي في الشرق الأوسط، كونه أكاديمياً يكتب باللغة الإنجليزية التي هي لغة المستعمر / ة، وهكذا يعمد إلى إنتاج معرفة غربية تجاه الشرقي / ة، المستعمر / ة.

مداخل المستعمرات وتكريس إيمان اغتصاب الأم الفلسطينية والأرض الفلسطينية

لم يكن مردخاي كيدار بطل سيناريو الآلة الاستعمارية الوحيد في مسرح العنف الجنسي الأخير. فالجنود الإسرائيليون / ات في طريقهم / ن إلى قتل الفلسطينيين / ات في غزة، يقرأون / ن شعارات داعمة أعدّها أصدقائهم / ن وأهلهم / ن من المدنيين اليهود - الإسرائيليين / ات. وجزء من هذه المضامين هو نداء لقتل واغتصاب النساء والأمّهات الفلسطينيات. فمثلاً على مدخل مستعمرة أور يهودا، المقامة على أراضي كفر عانا شرقي يافا، كُتبت: "إلى جنود جيش الدفاع الإسرائيلي - سكان أور يهودا معكم! أدخلوا بأمهاتهم وأخرجوا بسلام لأمهاتكم" (Sheen 2014).

إن التعبير العنصري الاستعماري في مداخل المستعمرات الإسرائيلية هو وسيلة يستخدمها السياسيون / ات الإسرائيليون / ات أيضاً، وخصوصاً خلال الحملات الانتخابية للبلديات والكنيست. فمثلاً، في انتخابات البلدية لمستعمرة الناصرة العليا المقامة على أراضي فلسطينية، قال أحد المرشحين إنه إذا انتُخب، فإن الناصرة العليا ستكون خالية من العرب. ومثال آخر: في أثناء الانتخابات

وأحد القمصان التي لبسها جندي في الحرب الأخيرة على غزة، رُسم عليه صورة امرأة محجبة وحامل، ومصوّب عليها بندقية، وقد كُتبت تحت الصورة: "رصاصاً واحدة تقتل اثنين". قمصان أخرى رُسم عليها المسؤول في "حماس" إسماعيل هنية، وهو يتم اغتصابه، أو رسم لواق ذكري (condom) على قميص وعليه صورة امرأة محجبة تركض وراء طفل صغير ومصوب في اتجاهها بندقية، وقد كُتبت في أسفل الصورة اسم شركة "ديوراكس" (Durex) المنتجة للواقيات الذكرية، وأعلى الصورة كُتبت "استعمال أفضل" (better use).

إن مصادقة قائد الوحدة على تلك التعبيرات والصور هي دعوة مباشرة إلى القتل، ومعتمّة على الجمهور كله، الأمر الذي يؤكد عدم وجود حدود بين المؤسسة العسكرية وبين المجتمع المدني، وأن أحدهما هو امتداد للآخر.

وفي تعبيرات ماكينة القتل والاعتصاب هذه، تظهر المرأة اليهودية على بعض القمصان جسداً بثديين على شكل قذيفتين،

إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين (بيبي) نتنياهو، وانتشرت بشكل واسع في الإعلام الإسرائيلي، ووسائل التواصل الاجتماعي. كانت هذه الصورة التي أُطلق عليها اسم "غزة"، عبارة عن امرأة بيضاء البشرة، محجبة في القسم العلوي من جسدها بحجاب أسود، عارية من منطقة الخصر إلى الأسفل، وتلبس حذاء أسود مع كعب، بوضعية جسدية فيها تعبير عن إغراء جسدي للناظر / ة، وقد كُتبت في أسفل الصورة: "بيبي - هذه المرة اقذف جُؤاً!!" المواطنون يؤيدون الاجتياح". ويدل توجيه الخطاب إلى رئيس الحكومة، على تقبله هذا الإعلان، وخصوصاً أنه لم يدين الإعلان لا مباشرة ولا مداورة، وفي هذا دلالة على أنه جزء من ماكينة الاستعمار "الشهوانية" الجنسية (colonial desiring machine).

طقوس الرغبة الجنسية والرغبة

في قتل المرأة الفلسطينية

في وحدات الجيش الخاصة

أحد الطقوس التي يقوم بها الجنود / الجنديات الإسرائيليون / ات في أثناء إنهاء خدمتهم / ن في الوحدات الخاصة هي طلب ملابس، وخصوصاً قمصان تي - شيرت، مع كتابة جملة ورسم صورة عليها. وفي كثير من الأحيان يكون ذلك عبارة عن دعوات عنصرية إلى قتل العرب وذبح الفلسطينيين / ة، أو تهديدات واستعراضات لعضلات الجسم والبطش الصهيوني. وما يضيف الجانب الرسمي للموقف الإسرائيلي عليها، أنه لا يمكن كتابة أي تعبير قبل أن يصادق عليه قائد الوحدة، وبعد مصادقته تُبعث الصورة أو الجملة إلى مشغل خاص في تل أبيب. وأحياناً يتبادل الجنود هذه القمصان ويلبسونها في الفضاء العام،



طباعة صور وكتابات على ملابس جنود أنهموا الخدمة، وأصبحت طقساً احتفالياً بإنهاءهم الخدمة

”يُربِّين ثعابين صغاراً“ وهذه الرغبة في القتل، قتل الأرحام، هي دلالة على ذهنية الإبادة والتطهير العرقي الذي يصبو إليه كل مستعمر أو مستعمرة، وكثيراً ما كان الرحم الفلسطيني مصدر تهديد للكيان الصهيوني، كونه منبع التهديد الديموغرافي. وبما أنه رحم ولاد، فقد عملت المؤسسة الصهيونية على استقطاب الهجرات اليهودية من روسيا وغيرها حتى لغير اليهود، والذين على الرغم من مرورهم بطقس الدخول إلى اليهودية في إسرائيل، فإن كثيرين من المهاجرين الروس لا يزالون يعتقدون الديانة المسيحية، وسبب غضّ النظر عن ذلك، هو إبقاء الفلسطينيين أقلية قومية.

إن الانسجام الوحشي بين اللغة ذات البُعد الجنسي لـ”القذف داخل” النساء الفلسطينيات و”القضاء” على الفلسطينيين من خلال العدوان على غزة، يكشف عن العلاقة الارتباطية بين جنسانية المرأة المستعمرة وسلامتها الجسدية، وبين المشروع الاستعماري الاستيطاني. إن اغتصاب الأرض المماثل لاغتصاب أجساد النساء تصدّر طليعة الهجمات الإسرائيلية الأخيرة التي تهدف إلى الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني، من خلال إبادة أرحامه. واحتجاجاً على مجازر الإبادة الجماعية للفلسطينيين / ات في غزة، تظاهرت النساء الفلسطينيات في المناطق المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ في الشوارع.

وفي المقابل تظاهرت فئات اليمين الصهيوني لتأييد قتل الفلسطينيين / ات، ودخلت هذه التظاهرات منعطفاً ذا بُعد جنسي، بتحوّل نداء المتظاهرين / ات بسرعة من ”الموت للعرب” إلى ”حنين زعبي زانية!”.

وبينما تم تسهيل تظاهرات اليمين الصهيوني، اعتدت الشرطة الإسرائيلية على



חלוצת נהרספוט בהזמנת חיילי צה"ל.
מימין מחלקת לופים מגדוד שקד בגולן, חיילים מגדוד חרוב בחטיבת כפר

قمصان ارتداها جنود إسرائيليون

مع شعر منثور، وينظر إليها رجل بلباس عسكري يجلس على دبابة ويقول: ”ما هذه القذائف التي عندك يا كيرن؟“ أو صورة لرأس نسر وجسد امرأة مع صدر كبير وخصر نحيل، كُتب عليها: ”في هذه الوحدة لا يصعب معرفة من الحاكم فعلاً.“ إن تصوير المرأة اليهودية على أنها رمز للقوة بصورة جنسية، هو تعبير آخر عن الرغبة الجنسية للآلة الاستعمارية. ولا يمكن تأطير هذا الاستخدام للمرأة اليهودية على أنه ذكورية الرجل الصهيوني فقط، بل يجب تجاوز التحليل النسوي كي نصل إلى تحليل يربط بين الاستعمار كآلة رغبات جنسية متواصلة، ودور المرأة الصهيونية في تشغيل هذه الآلة.

للنساء اليهوديات - الصهيونيات دور في آلة القتل والرغبة الجنسية تجاه المرأة الفلسطينية

الرغبة في الجنس والقتل تجاه المرأة الفلسطينية لا تقف عند الذكور من الإسرائيليين، فمثلاً العضو في حزب ”البيت اليهودي“، أييلت شاكيد، نادت بضرورة قتل جميع الأمهات الفلسطينيات كونهن

بهذا الدور بوعي كامل، ويمارسن دورهن في إنجاب أطفال أقوىاء من دون خلل جسماني، يستطيعون تحقيق كيانهن / ن كمستعمرين / ات. ومن المعروف عالمياً أن إسرائيل تتصدر قائمة الدول التي تُجري الفحوصات في أثناء الحمل للتأكد من سلامة الجنين، وتسمح للمرأة الإسرائيلية بإجهاض الجنين إذا ما كان هناك حتى لو شك في أن به خللاً.

في كتابها "الجسد المختار" (The

Chosen Body: the Politics of the Body

(in *Israeli Society*, 2002)، تقول باحثة

العلوم الإنسانية مايرا وايس إن الدولة

اليهودية ترى في الجسد الأشكيناوي

الأبيض ذي العضلات، جسداً "كاملاً" تصبو

إلى إنتاجه، لأن هؤلاء هم من "سيحمون

الدولة" (Weiss 2002).

والعنصرية تجاه كل ما هو أسود كشف

عنها تقرير جمعية "امرأة لامرأة" الذي تحدث

عن تدخّل الدولة في تحديد نسل اليهود

الأثيوبيين / ات، من خلال إعطاء النساء مانع

الحمل "ديبو - بروفيراً" (depo - provera)

بواسطة حقنة تؤثر في الرغبة في الإنجاب

مستقبلاً. وهذه دلالة أخرى على الارتباط

الوطيد بين منظومة الاستشراق ومنظومة

الاستعمار. فالأسود دوماً "آخر" يجب تعريفه

ورسم حدوده من أجل السيطرة عليه، وعلى

حياته، وعلى المعرفة المنتجة منه.

نقاش

أوضحت هذه الدراسة كيفية عمل

الرغبة الجنسية للآلة الاستعمارية في

سياق الكيان الصهيوني الإسرائيلي، وأنها

ليست إلا تعبيراً عن النظرة الاستشراقية

التي تُشَيِّء الفلسطينيين / ة، وتجعل من

الفلسطينية غرضاً يمكن انتهاكه. ففي كتابه

النساء الفلسطينيات، وعمدت إلى سحبهن بالقوة إلى خارج التظاهرات في حيفا والناصرة واعتقالهن، أو تسببت بتعرّضهن للضرب من طرف العنصريين الإسرائيليين. كما أصدرت شخصيات دينية قيادية تتلقى روايتها من الدولة بيانات دينية تنصّ على أنه يجوز، خلال الحروب، قصف المدنيين الفلسطينيين بهدف "القضاء على العدو".

تحويل الذات إلى شيء لخدمة

الآلة الاستعمارية

في الحرب الأخيرة على غزة، ظهر جلياً

كيف تحوّل الفتاة اليهودية - الصهيونية

جسدها إلى شيء من أجل خدمة الآلة

الاستعمارية. لقد فتحت مجموعة من النساء

والفتيات الصهيونيات صفحة في الفايص

بوك تهدف إلى دعم جنود جيش الدفاع

الإسرائيلي، من خلال كتابة جملة "أحب

جيش الدفاع الإسرائيلي" باللغة الإنجليزية

("Love IDF") على أعضائهن الخاصة

والجنسية، وتحديدًا على الثديين، والمؤخرة،

والصدر، والبطن وغيرها، الأمر الذي يثبت

فكرة أن ماكيننة الاستعمار الصهيونية

إنما هي ماكيننة رغبات جنسية، إذ إن هذه

الصفحة كانت بمثابة دعوة مباشرة إلى

الجنس مع هذه الآلة، وتأكيداً أن الفتيات

الصهيونيات يَعيّن معنى هذا الدعم، ويَعيّن

أن هذا الدعم سيُجلب السرور والفرح لقلوب

جنودهن، وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما

يدل على أن ذهنية الرغبة الجنسية للآلة

الاستعمارية مترسخة لدى ذكورها وإناثها

على حد سواء.

إن المرأة اليهودية هي أيضاً وسيلة

بأيدي القوى الاستعمارية لـ "إنتاج" أجيال

يهودية قوية تخدم هذا الكيان، والنساء يقمن

”الرغبة الاستعمارية“ (*Clonial Desire*) (1995) يشير روبرت يونغ إلى حقيقة أن الخطاب الاستشراقي ما هو إلا تعبير عن الفانتازيا الغربية التي يحققها من خلال تحويل الشرقي إلى غرض ووسيلة لتحقيق هذه الفانتازيا. ومما لا شك فيه أنه في سياق العلاقة بين المستعمر /ة الإسرائيلي والمستعمر /ة الفلسطيني /ة، فإن السيد عبد لسيادته /ا، والعبد /ة عبد /ة لعبوديته /ا، في هذه المنظومة (Fanon 1961).

أما هومي بابا فيشير إلى حقيقة أن الأفكار المسبقة للمستعمر /ة هي وسيلة لتكريس التصنيفات والتعريفات، الأمر الذي يخلق توقعات، ويُنتج حقيقة يُصدّقها المستعمر /ة موضوع التصنيف (Bhabha 1994)، فنبدأ بالتكلم بنفس المصطلحات. من هنا، وفي كثير من الأحيان، تستخدم النسويات الفلسطينيات التصنيفات الغربية ذاتها التي تُوضع الرجل الفلسطيني في خانة العنيف، والرجل الشرقي والمرأة الفلسطينية في خانة الضحية التي بحاجة إلى منقذ أبيض. وهذا فخ تقع فيه النسويات ليصبحن شريكات بتكريس المجموعات التصنيفية، والستيريوتايب الكولونيالي، الأمر الذي يخدم قوى المستعمر /ة. إن الرغبة في الاغتصاب هي عبارة عن ممارسة عنصرية تهدف إلى تحديد الحدود بين المستعمر /ة والمستعمر /ة، أو ما يُسمى ”النزاع الحدودي“ (boundary dispute) بهدف التمييز (differentiation) من خلال اللغة التي تحوّل الواقع إلى مجموعات تصنيفية: لغة تُعلم (Marking) الآخر / الأخرى والأنا. وهذه الرغبة هي جزء من ماكينة الاستعمار، وهي ماكينة رغبات، من ضمنها رغبات جنسية. ومصطلح ”ماكينة رغبات“

(”desiring machine“) هو مصطلح كتب عنه دولوز وغواتاري (Deleuze and Guattari 1983) في كتابهما ”ضد أوديپ: الرأسمالية وانفصام الشخصية“ (*Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia*)، ويصفان هذه الماكينة فيه بأنها ماكينة تعمل طوال الوقت، أحياناً بشكل مستمر وأحياناً بتقطع: تتنفس وتأكل وتتدفأ وتتبول وتمارس الجنس. وتطرق يونغ (Young 1995) إلى الفكرة، وذكر حقيقة أن الاستعمار هو عبارة عن ماكينة رغبات (colonial desire)، مشيراً إلى الخطاب الاستعماري قائلاً إن الاستعمار ماكينة، ماكينة حرب، ماكينة بيروقراطية وإدارة، وفوق كل شيء ماكينة قوة. وتتطرق سيفاك (1988) في مقالها ”هل يستطيع التابع أن ينطق؟“ (*Can the Subaltern Speak*) إلى الرغبة الغربية في الحفاظ على الذات الغربية، أو على الغرب كذات أقوى، من خلال الحديث عن ذات الإنسان الخاضع بلغة موضوعية تُقوّي موقعه / المسيطر /ة. على الصعيد اليومي، يمارس العنف الجنسي لتنفيذ وتمييز المشروع الصهيوني النقي وفصله عن ”الآخر“ المختلف ثقافياً وعرقياً ودينياً (ووراثياً)، أما من الناحية القومية - الدينية، فإنه يستنسخ حدوداً جديدة لإعادة التشديد على منطلق الإجماع، وعلى منطلق الآخر. وكما يشير الباحثون، فإن المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني نشأ كمشروع قومي - عصري ولاهوتي في آن واحد، والفرضيات اللاهوتية لهذا المشروع مترسخة بقوة في المبادئ الصهيونية فيما يتعلق باسترداد الأرض والعودة إلى صهيون (-Raz). (Krakotzkin 2002; Kimmerling 1998). هذه هي، تحديداً، قاعدة النظرية اللاهوتية

”الرغبة الاستعمارية“ (*Clonial Desire*) (1995) يشير روبرت يونغ إلى حقيقة أن الخطاب الاستشراقي ما هو إلا تعبير عن الفانتازيا الغربية التي يحققها من خلال تحويل الشرقي إلى غرض ووسيلة لتحقيق هذه الفانتازيا. ومما لا شك فيه أنه في سياق العلاقة بين المستعمر /ة الإسرائيلي والمستعمر /ة الفلسطيني /ة، فإن السيد عبد لسيادته /ا، والعبد /ة عبد /ة لعبوديته /ا، في هذه المنظومة (Fanon 1961).

أما هومي بابا فيشير إلى حقيقة أن الأفكار المسبقة للمستعمر /ة هي وسيلة لتكريس التصنيفات والتعريفات، الأمر الذي يخلق توقعات، ويُنتج حقيقة يُصدّقها المستعمر /ة موضوع التصنيف (Bhabha 1994)، فنبدأ بالتكلم بنفس المصطلحات. من هنا، وفي كثير من الأحيان، تستخدم النسويات الفلسطينيات التصنيفات الغربية ذاتها التي تُوضع الرجل الفلسطيني في خانة العنيف، والرجل الشرقي والمرأة الفلسطينية في خانة الضحية التي بحاجة إلى منقذ أبيض. وهذا فخ تقع فيه النسويات ليصبحن شريكات بتكريس المجموعات التصنيفية، والستيريوتايب الكولونيالي، الأمر الذي يخدم قوى المستعمر /ة. إن الرغبة في الاغتصاب هي عبارة عن ممارسة عنصرية تهدف إلى تحديد الحدود بين المستعمر /ة والمستعمر /ة، أو ما يُسمى ”النزاع الحدودي“ (boundary dispute) بهدف التمييز (differentiation) من خلال اللغة التي تحوّل الواقع إلى مجموعات تصنيفية: لغة تُعلم (Marking) الآخر / الأخرى والأنا. وهذه الرغبة هي جزء من ماكينة الاستعمار، وهي ماكينة رغبات، من ضمنها رغبات جنسية. ومصطلح ”ماكينة رغبات“

غير منفصلين، بل مرتبطين أحدهما بالآخر، بحيث يندم الانقسام المؤطر بين الدولة والمجتمع المدني. وكما يشير لورنزو فيراتشيني، فإن المستوطنين "يحملون سيادتهم معهم" (Veracini 2010). ومن المتوقع إذاً، أن تشن أجهزة الدولة الرسمية والأطر الاستيطانية غير الرسمية هجوماً خطراً على جنسانية النساء الفلسطينيات، وعلى أجسادهن وحياتهن، يومياً وبشكل مكثف في أثناء الحرب.

وعند دراسة العنف الجنسي ضمن سياق الدولة الصهيونية، نرى أن بنية النظام الاستعماري الاستيطاني الإسرائيلي تتبّع مبدئين متناقضين يعملان في آن واحد: غزو / انتهاك / احتلال، في مقابل هيمنة / تطهير / تعيين الحدود. ويعود مبدأ الغزو / الانتهاك / الاحتلال إلى الممارسات العنيفة للاستيلاء على الأراضي: سلبها وانتزاعها. ونحن هنا ندرس العنف الجنسي ضمن سياق الحركة الصهيونية الدينية - القومية التي صممت مشروعها "القومي" من خلال التلاعب بالمشاعر "الدينية"، وفي الوقت نفسه وضعته في محاذاة التاريخ والعرقية / العنصرية.

إن الدعوة إلى العنف الجنسي في النظام الصهيوني متأثرة بالأيدولوجيا الصهيونية التي تضع الحدود بين المقدّس والمدنّس. وبينما ترى دوغلاس أن هذه الحدود تحمل في طياتها خطر "غزو المقدّس لما هو مدنّس وغزو المدنّس لما هو مقدّس... فإن العلاقات مع المقدّس تتجلى من خلال طقوس الفصل والتمييز، وتتعرّز من خلال المعتقدات السائدة بشأن الخطر الناتج من اجتياز الحدود الممنوعة" (Douglas 1975, p. 50). لكن في حين توضع الحدود الجيوسياسية، السياسية - الحيوية والسياسية المميّزة للنظام الصهيوني وفق طقوس الفصل

الدينية - القومية التي تميز بين المشروع الاستعماري - الاستيطاني - الصهيوني، والمشاريع الاستعمارية الاستيطانية الأخرى. وتتخذ اللافتة التي وُضعت على مدخل البلدة أمام أعين الداخلين إلى والخارجين من المستعمرة، بمن فيهم / ن عمال فلسطينيون / ات، دوراً في تحويل جسد المرأة الأم الفلسطينية إلى "غرض" (object) لشهوة ماكينة الاستعمار؛ غرض يحوّل



في مدخل مستعمرة "أور يهودا" (التي أقيمت على أراضي كفر عانا شرقي يافا) كُتب على مدخل البلدة: "إلى جنود جيش الدفاع الإسرائيلي - سكان أور يهودا معكم! أدخلوا بـ أمهاتهم وأخرجوا بسلام لأمهاتكم"

جسدها إلى شيء "قابل" للاغتصاب، ويخلق إمكاناً متاحاً في الفضاء العام، ويكرس موقعي السيد / ة والعبد / ة في المنظومة الاستعمارية الصهيونية.

إن مشهدية التعامل مع جسد المرأة الفلسطينية على أنه شيء قابل للانتهاك سواء على يد أكاديمي، أو عضو كنيست، أو جندي / ة، أو شرطي / ة، أو مجتمع مدني، تلزمتنا اعتبار الدولة الاستيطانية الإسرائيلية والمجتمع الاستيطاني ككيانين

والتصريحات غير المقيدة، تسللت الأصوات الذكورية والمفعمة بالعنف الجنسي. إن قراءة الكتابات على صفحات الفايس بوك، والشعارات الموجودة في الشوارع، والنداءات في التظاهرات، والتصريحات والتحليلات "العلمية" للخبراء الصهيونيين، تخترق أسطورة الديمقراطية اليهودية الإسرائيلية، وترفع النقاب عن الأسس العرقية ذات البُعد الجنسي للمشروع الاستعماري الاستيطاني. وتجليات العنف الجنسي هذه ليست منتجاً ثانوياً للحروب والنزاعات المكثفة، وإنما هي جزء منها، ومن دونها هي غير موجودة. من هنا، فإن تصريحات كيدار وشاكيد الاستشراقية لا تختلف، إذاً، عن التصريحات التي تُكتب على أسوار البلدة القديمة خلال اعتداءات "تدفيع الثمن" ("تاغ مَحير") التي تنادي بـ "الموت للعرب"، ولا تختلف عن الجرائم التي ارتكبتها من أحرق الطفل محمد أبو خضير حياً، ولا عن المجازر التي ارتكبت في غزة؛ كما أن هذه الأحداث، وبصورة عامة، لم تحرك الشعب الإسرائيلي، ولم تُعتبر جرائم كراهية ذات بُعد جنسي. ■

والتمييز، فإن طقوس التطهير والتطويق وصنع الحدود، تعمل كطقوس ذات بُعد جنسي للغزو والانتهاك والاحتلال. يعمل منطق العنف الجنسي - وفق تحليلنا - ضمن السياق الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، من خلال ترسيم الحدود وتجاوزها في آن واحد. فالغزو والتأصل الاستيطاني ينفذان من خلال التمييز الثقافي العرقي بين الفرد والأمة اليهودية المتحضرة والعصرية، وبين الـ "آخر" البربري، غير المتحضر والسابق للحداثة.

إن إطلاق صواريخ غزة على إسرائيل، والذي يرمز إلى "الاختراق القضيبى" للدولة القومية، أدى إلى زعزعة الإيمان بالقدرة الكلية لما هو "مقدس". ومن هنا، كشفت الآلية الاستعمارية لغزو الجسد والأرض، والحاجة إلى استصلاح الذكورة الصهيونية المتكسرة، عن الوجه الحقيقي للاحتلال الصهيوني ذي البُعد الجنسي. ومن خلال الخطاب غير المجمل والسائد عبر شبكات التواصل الاجتماعي والبرامج الإذاعية

المصادر

- ١ أي تحويله إلى شيء.
- ٢ مثلما ادعى زعماء الحركة الصهيونية كإسرائيل زانغويل وتيودور هيرتسل.
- ٣ انظر: "Examples of Hate Speech by Israel Against Palestine"، في الرابط الإلكتروني التالي: <http://whatreallyhappened.com/WRHARTICLES/palestinians.php> وانظر أيضاً الرابط الإلكتروني التالي: <http://student.cs.ucc.ie/cs1064/jabowen/IPSC/php/db.php?qid=418>
- ٤ في الخمسينيات، جعل بن-غوريون، أول رئيس حكومة في إسرائيل، موضوع خصوبة المرأة أولوية قومية، مدعياً أن "زيادة معدل المواليد اليهود حاجة ضرورية لوجود دولة إسرائيل"، وأن "المرأة اليهودية التي لا تنجب أربعة أطفال - على الأقل - تحتال على البعثة اليهودية". انظر: Simona Sharoni, *Gender and the Israeli-Palestinian Conflict: The Politics of Women's Resistance* (New York: Syracuse University Press, 1995).

٥ هذا الاقتباس مأخوذ من ساما (اسم مستعار) التي شاركت في مجموعة بؤرية مع نساء فلسطينيات من القدس، في سنة ٢٠١٤.

المراجع

بالعربية

– مقابلة مع نساء فلسطينيات في القدس، ٢٠١٤، ضمن مجموعة بؤرية، في إطار بحث عن منالية العدالة للمرأة الفلسطينية.

بالإنكليزية

- Abunimah, Ali. “Israeli Lawmaker’s Call for Genocide of Palestinians Gets Thousands of Facebook Likes”. *Electronic Intifada*, 7/7/2014, <http://electronicintifada.net/blogs/ali-abunimah/israeli-lawmakers-call-genocide-palestinians-gets-thousands-facebook-likes>.
- Aretxaga, Begoña. *Shattering Silence: Women, Nationalism, and Political Subjectivity in Northern Ireland*. Princeton: Princeton University Press, 1997.
- Bar-Zohar, Michael. *Ben-Gurion: The Armed Prophet*. New York: Prentice Hall, Englewood Cliffs, NJ, 1968.
- Bhabha, Homi. *The Location of Culture*. New York: Routledge, 1994.
- Davis, Uri & Walter Lehn. “And the Fund Still Lives: The Role of the Jewish National Fund in the Determination of Israel’s Land Policies”. *Journal of Palestine Studies*, vol. VII, no 4 (Summer 1978), pp. 3-33.
- Deleuze, Gilles and Felix Guattari. *Anti-Oedipus: Capitalism and Schizophrenia*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1983.
- Douglas, Mary. *Implicit Meanings: Essays in Anthropology*. London and Boston: Routledge and Kegan Paul Ltd., 1975.
- Dowler, Lorraine. “Till Death Do Us Part: Masculinity, Friendship, and Nationalism in Belfast, Northern Ireland”. *Society and Space*, vol 20, no 1 (2002), pp. 53-71, <http://www.envplan.com/abstract.cgi?id=d40j>
- Fanon, Frantz. *The Wretched of the Earth*. New York: Grove Press, 1961.
- Goldberg, David Theo. *The Threat of Race: Reflections on Racial Neoliberalism*. Hoboken, New Jersey: Wiley-Blackwell Publication, 2009.
- Hartman, Saidiya V. *Scenes of Subjection: Terror, Slavery, and Self-making in Nineteenth-Century America*. New York: Oxford University Press, 1997.

- James, Joy. “Afrarealism and the Black Matrix: Maroon Philosophy at Democracy’s Border”. *The Black Scholar*, vol. 43, no 4 (Winter 2013), pp. 124-131, <http://www.jstor.org/stable/10.5816/blackscholar.43.4.0124>.
- Kanaaneh, Rhoda. *Birth of the Nation: Strategies of Palestinian Women in Israel*. Berkeley, California: University of California Press, 2000.
- Kedar, Mordechai. Interview by Yossi Hadar. *Hakol Diburim programme*, Second Channel, 2 July 2014, accessed 15 July 2014, www.iba.org.il/bet/player.aspx#!/style/popAudio/ar/1567635/audio/yes
- Kimmerling, Baruch. “Between Hegemony and Dormant Kulturkampf in Israel”. *Israel Affairs*, vol. 4, issue 3/4, (Spring/Summer 1998), pp. 49-72.
- Lentin, Ronit. “The rape of the Nation: Women Narrativising Genocide”. *Sociological Research Online*, vol. 4, no 2, 1999. <http://www.socresonline.org.uk/4/2/lentin.html>
- Levin, Harry. *Jerusalem Embattled: A Diary of the City Under Siege March 25, 1948, to July 18th, 1948*. London: Gollancz, 1950.
- Mohanty, Chandra Talpade. *Feminism Without Borders: Decolonizing Theory, Practicing Solidarity*. Durham, N.C.: Duke University Press, 2003.
- Morris, Benny. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.
- Raz-Krakotzkin, Amnon. “A National Colonial Theology: Religion, Orientalism and the Construction of the Secular in Zionist Discourse”. *Tel Aviver Jahrbuch für Deutsche Geschichte*, vol. XXX (2002), pp. 312-326.
- Roberts, Dorothy. *Killing the Black Body: Race, Reproduction, and the Meaning of Liberty*. New York: Pantheon Books, 1997.
- Said, Edward W. *Orientalism*. New York: Vintage, 1979.
- Sexton, Jared. “People-of-Color-Blindness: Notes on the Afterlife of Slavery”. *Social Text*, vol. 28, no. 2 (2010), http://socialtext.dukejournals.org/content/28/2_103/31.abstract.
- Shalhoub-Kevorkian, Nadera. *Militarization and Violence Against Women in Conflict Zones in the Middle East: A Palestinian Case-Study*. Cambridge: Cambridge University Press, 2009.
- Sharoni, Simona. *Gender and the Israeli-Palestinian Conflict: The Politics of Women’s Resistance*. New York: Syracuse University Press, 1995.
- Sheen, David. “Israel’s War Against Gaza’s Women & Their Bodies”. *Muftah*, July 23rd, 2014, http://muftah.org/israels-war-gazas-women-bodies/#.U_eeUVYtXwI.

- Sherwood, Harriet. "Israelis Gather on Hillsides to Watch and Cheer as Military Drops bombs on Gaza". *The Guardian* (Sunday 20 July 2014), <http://www.theguardian.com/world/2014/jul/20/israelis-cheer-gaza-bombing>.
- Slyomovics, Susan. "The Rape of Qula, a Destroyed Palestinian Village". In *Nakba: Palestine 1948, and the Claims of Memory*. Edited by Ahmad Sa'di and Lila Abu-Lughod. New York: Columbia University Press, 2007.
- Smith, Andrea. *Conquest: Sexual Violence and American Indian Genocide*. Cambridge, Massachusetts: South End Press, 2005.
- Spillers, Hortense J. "Mama's Baby, Papa's Maybe: An American Grammar Book". *Diacritics*, vol. 17, no. 2 (Summer 1987), pp. 65-81, http://people.ucsc.edu/~nmitchel/hortense_spillers_mamas_baby_papas_maybe.pdf
- Spivak, Gayatri Chakravorty. "Can the Subaltern Speak?" In: *Marxism and the Interpretation of Culture*. Edited by Cary Nelson and Lawrence Grossberg. Urbana, Illinois: University of Illinois Press, 1988, pp. 271-313.
- Strickland, Patrick. "Bombing of Gaza Children Gives Me 'Orgasm': Israelis Celebrate Slaughter on Facebook". *Electronic Intifada*, 13/07/2014, <http://electronicintifada.net/blogs/patrick-strickland/bombing-gaza-children-gives-me-orgasm-israelis-celebrate-slaughter-facebook>.
- Veracini, Lorenzo. *Settler Colonialism: A Theoretical Overview*. Hampshire, UK: Palgrave MacMillan, 2010.
- Weiss, Meira. *The Chosen Body: the Politics of the Body in Israeli Society*. Stanford, California: Stanford University Press, 2002.
- Wolfe, Patrick. "Settler Colonialism and the Elimination of the Native". *Journal of Genocide Research*, vol. 8, issue 4 (2006), pp. 387-409. <http://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/14623520601056240#abstract>
- Young, Robert J.C. *Colonial Desire: Hybridity in Theory, Culture and Race*. London and New York: Routledge, 1995.